«شلّة» الْمُتهوِّرِينَ السُّعَدَاء

تأليف:
قاسم مسعد عليوة

رسوم:
عـز الدين نجـيب



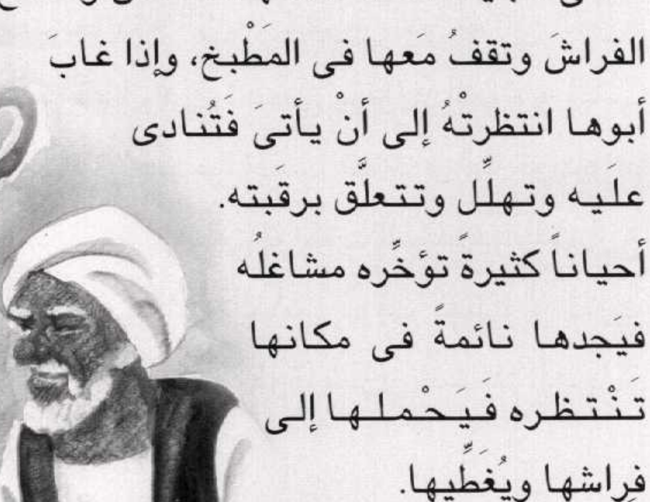

قطر الندى



مَلاكُ القَرْيَةِ الحارسُ

عندَ الشَّاطئِ الشَّمالى للْبُحَيْرَة، وبالتحْديد فى المنْطقَة الفاصلَة بينَ البُحَيرة والبَحْر، تقعُ قريةٌ صغيرةٌ للصيَّادين تعيشُ فيها زُمُرُّدَة، البنتُ الطيبةُ الحنون، صاحبةُ العقْل الرَّاجح والقلْب الطيِّب. أهلُ القريةِ يحبُّونها لأنها تُحِبُّهم؛ تفرحُ إذا فَرِحوا ، وتحزنُ إذا حَزِنوا.

فى البيْت تساعدُ أمَّها. تكنسُ وتمسحُ وترتبُ الفراشَ وتقفُ معَها فى المَطْبخ، وإذا غابَ أبوها انتظرتْهُ إلى أنْ يأتىَ فتُنادى عليه وتهلِّل وتتعلَّق برقَبته.



أحياناً كثيرةً تؤَخره مشاغلُه فيَجدها نائمةً فى مكانها تَنْتظره فيَحْملها إلى فِراشها ويُغَطِّيها.

وفى خارجِ البيْت تساعدُ العاجزَ وكبيرَ السن.

بالنَّهار.. عندَ شَاطئ
البُحَيرة، اعتادَ الصيَّادون
رؤيتَها وهى تساعدُ مَنْ
يحتاجُ إلى مُساعدة، فتحملُ
مِشَنَّةَ السمَك عَنْ عم **حسُونة** الذى
انحنَى ظَهْرُهُ، أو تنظفُ شَبكَ الريِّس **خميس** الذى قَضَمَ
الوحشُ إصْبَعَيْن من كَفِّه اليمنَى، أو ترتقُ مع أبيها قَلْعَ
المرْكب إذا ما خرمتْهُ الريحُ. كثيرونَ من أهالى القرْية
كانوا يَتَتَبَّعونها وهى تُعطى **بهلول** الحلوَى التى
تَشْتريها بمصْروفها، أو عندما تذهبُ لتشترىَ ما تريدُه **أمُّ السيِّد** الكسيحَةُ. وإذا ما انْهمر المطرُ وتراكمَت المياهُ فى الشوارع
كانت زمردة ترصُّ الحجارةَ لتَمْشى ويَمْشى الناسُ فوقَها حتى لا تلوث الأوحالُ سيقانَهُمْ. وإذا ما جاءتْ عربةُ المياه الحلْوة، تجرى لتساعدَ العجائزَ من نساء القرية فى حَمْل الصَّفائح والجرار.

ولأنَّ القريةَ صغيرةٌ وفقيرةٌ فإنه لا توجدُ بها شبكةٌ لمُعالجة وتَصْريف مياهِ المَجارى. لهذا السَّبب تأتى عربةُ الْكَسْحِ كل يوم لتشْفط هذه المياهَ من



البَيَّارات الموجُودة خلفَ البيوت، وتذهبُ بها إلى شَبكَة المعالَجَة بالمَدينة القَريبة. ولأنَّ العربةَ تترددُ يومياً على القرْية فقد تعرفَتْ **زمردة** على سائقها **عمٍّ عبدالله** وتعرفَ عليها، فكانتْ تُلَوِّحُ له مُرَحِّبَةً به وهو يأْتى، وتُلَوِّحُ له مُوَدِّعَةً وهو ينصرفُ عائداً بسيارته لأداءِ مُهمته الجَليلة.

ذاتَ يوم مرضَ **عمُّ عبدالله**، وجاء بالسيارةِ سائقٌ غريبٌ لم تسترحْ له، فقد كانَ عابسَ الوجْهِ مُتَجَهِّمَ الملامحِ.

فى نفْس اليوم، وبعدَ أن انتهَت السيَّارةُ من شَفْط مياه المجَارى من البيَّارات، وقفتْ **زمردة** لتلوِّح للسائق الغَريب كما كانتْ تفعلُ مع **عَمِّ عبدالله**، إلا



أنه لم يلتفتْ إليها، وأسرعَ بسيَّارته باتِّجاه البُحَيرة.

لم تُصَدِّقْ زُمردة عَيْنَيْها حينما رأتْهُ يهبطُ من السيارة ويَمُدُّ الخرْطوم إلى البُحَيرة، ثم يفتحُ الخزانَ، فتتدفقُ مياهُ المَجارى القذرةُ إلى البُحَيرة وتُلوثها.

مِنْ فَوْرها صاحتْ مُسْتَنْجدةً «يا بابا.. يا عمّ حسونة.. يا ريّس خميس.. ياحاجّ عامر.. يا ناس.. هذا الرجلُ يلوثُ البحيرةَ بمياه المَجارى».

مِنْ فَوْرهم جَرَى أهلُ البلَد وأوقَفوا تَدَفُّقَ المياه القَذرة إلى البُحَيرة، واقْتادوا السائقَ الغريبَ إلى نقطَة الشرْطة القَريبة، واشْتكوه إلى رئيسه فى العَمَل، فقرَّر على الفَوْر مُجازاته بالخَصْم من أجْره وإعادة عمّ عبدالله إلى القرْية فورَ شفائه، وعدَم السماح لغَيْرِ السائقينَ الأمناءِ بقيادةِ عَرَبة الكَسْحِ فى حالة تَغَيُّبِه لأىٍّ سبب.

وما إنْ علمَ المحافظُ بما فعلتهُ زمردة حتَّى اسْتقبلها فى مكْتبه، ومنَحها شهادةَ تقْدير وكأسَ حُماة البيئة. واعتبر أهالى القَرية منذُ هذهِ الحادثةِ زمردة مَلاكَ القريةِ الحارسَ.

شلَّة المتهوِّرينَ السُّعداء

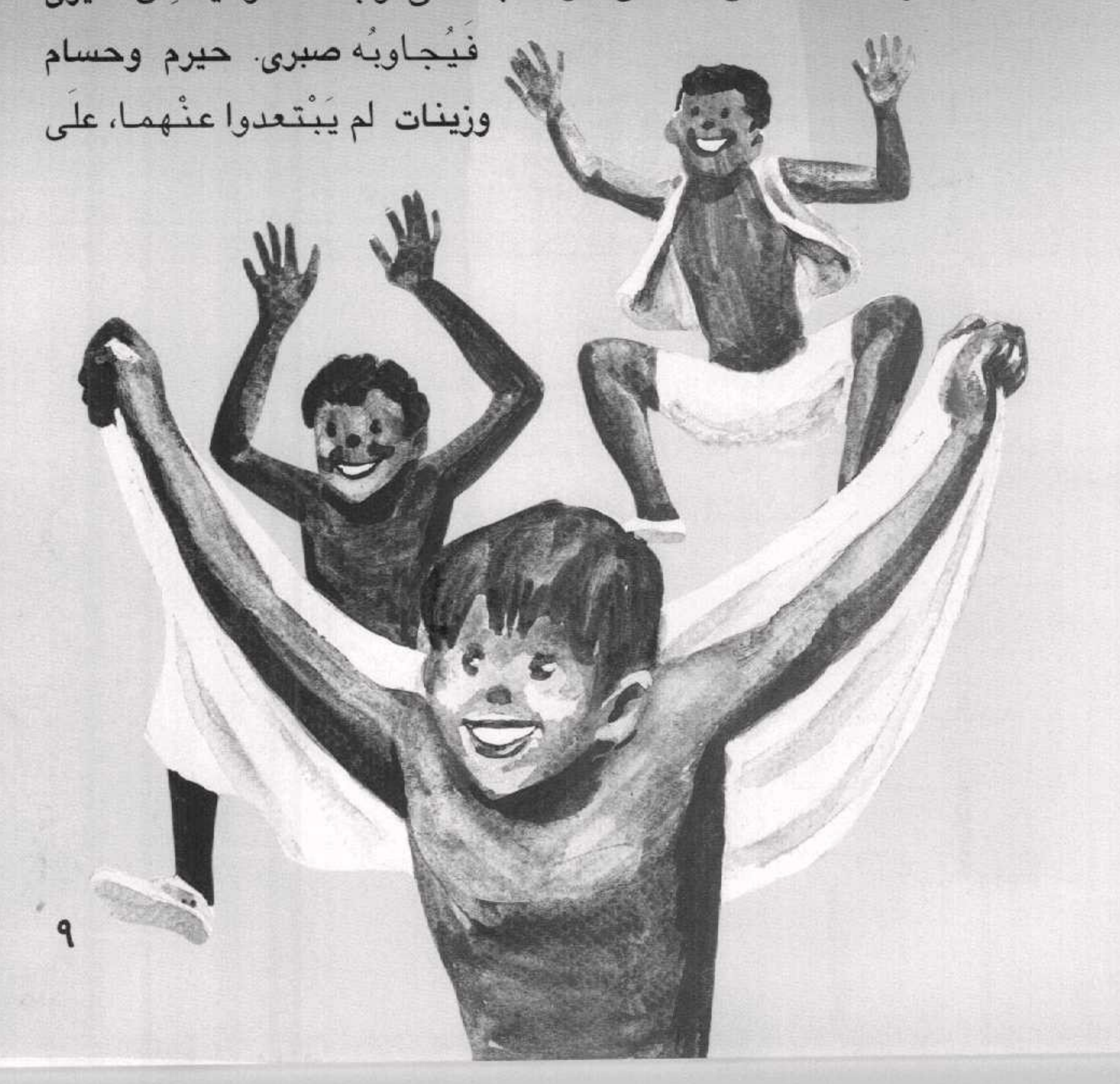
يالَهُ من اسْم غَريب!!

هَكذا صاحَ **حسام** قبلَ أن يُعلن انضمامَهُ لهذه الشلَّة.

قبلَ أن تنجحَ شلة «المُتَهَوِّرينَ السعداء» فى ضَمِّ حسام إليها، كان الكبارُ والصغارُ يحبُّونه. فى المدْرسة، وفى البيت، وفى الحارة، بعد انْضمامه إليها تغيرتْ نظرةُ الناس إليه، وعَواطفهم أيضًا تغيَّرت.

ضجيجُ الشلة عالٍ، وتصرفاتُ أفْرادها غَريبةٌ غرابة الاسْم الذى أطْلقوه على أنفُسهم. قبل انضمام **حسام** كانت الشلةُ تضمُّ **صبرى وخيرى وزينات. حيرم** هو زعيمُ الشلة وهو الذى اختْار اسْمَهَا. الآنَ هم أربعةٌ وخامسُهم **حسام**. لم يتمكَّن **حسام** من مُقاومة جاذبيَّة الاسْم ومَظاهر المرَح التى أحاطُوا بها أنفسَهم، فاسْتسلم لهم وفعلَ مثْلما يفعلونَ. لأتْفَهِ سَبب يضْحكون.. بدون سَبب يضْحكون. مثْلهم فَتَحَ قميصَه وَوَقَفَ تحتَ المطَر وصاحَ نحن لا نخافُ المطَر، وفى أيام العَواصف يذهبُ معهم إلى العَراء ويفردُ ذراعَيْه باتِّجاه الريح ويُشاركهم الصياح «نحنُ لا نخافُ الريح»، وإلى البحْر حين يثورُ مَوْجُهُ يُهَرْوِلُ مثْلَهم ويخوضُ فيه – مهما هاجَ – ويَزْأَرُ كما يَزْأَرُونَ «نحنُ لا نخافُ

البحْرَ». لمَّا أصابَ البردُ كلاً من صبرى **وخيرى** وأخذا يعْطِسان لم يَخْلُدْ أى منهما للراحَة فى بَيته، ولم يأخذْ علاجَهُ، ولم يمسكْ حتى بمنْديل. الأدْهَى من هذا أنهما راحا يَتَبادلان العَطْسَ كلّ منهما فى وَجْه الآخر. يَعْطِسُ **خيرى** فَيُجاوِبُه **صبرى**. **حيرم وحسام وزينات** لم يَبْتعدوا عنْهما، علَى



العكْس ازْدادوا بهما الْتصاقًا وعَطَسُوا مثلَما يَعْطِسان. قال الخمسةُ بأصْوات مَبْحُوحَة «نحن لانخاف الزكام»، وهاجَموا تلاميذَ المدرسة ففَرَوا من أمامهم فزَعاً، وظلوا هم يضْحكون.

أمُ حسام حاولتْ إبعادَهُ عن هذه الشلة، إلا أنها لم تُفْلح.

نفْس الأمر حاوله الأستاذ **فهمى**.

المشرفةُ الصحيةُ بالمدرسة نصحتْ أفرادَ الشلة جَميعًا وأوضحتْ لكلٍّ منهم، على حدة ومُجْتمعين، أنَّ ما يفْعلونه خطرٌ ومميتٌ، لكنهم لم يَسْتمعوا للنصيحَة، وظلوا مسْتمرين فى تَهْريجهم، ولم يمتَنعوا عن الرقْص تحتَ المطَر ومواجَهة الريح والخَوْض فى مياه البحْر.

كانوا عن قَصْد يُضَخِّمُون من إحْساسهم بالسعادة المُتَوَهَّمَة. ولما سَمِعُوا بوضُوح



(تزْييق) صدْر **زينات** زاطوا وهلّلوا. **حيرم** الزعيمُ أطلقَ عليها لقب زينات الموسيقيّة وعاودوا التهْريج. **حيرم** يقلّد حَركات المايسترو بعصا يُديرها فى الهَواء، **وزينات** تتحكّم فى (التزْييق) وتجعلُه منغَّمًا، **وصبرى وخيرى وحسام** يُصفقون على نفْس النغَمة ويرقُصون.

زينات بدأتْ تدوخُ وتَسْعُلُ، وحرارةُ جسْمها ارتفعتْ وأخذتْ تبصقُ دماً، ومع هذا ظلتْ تفعلُ مثلَما يفْعلون.

أم **حسام** لاحظتْ أن حيويَّة **حسام** قد ذبلَتْ، وأن لونَهُ قد أصبحَ شاحبًا. لمَّا سَعَلَ جَسَّتْهُ فإذا بحَرارة جسْمه مُرْتفعة جداً. فَزعتْ وأخَذته من فَوْرها إلى المُشْرفة الصحيّة، التى وضَعتْ الترمومتر تحتَ لسانه ثم سارعَتْ بوضْع كمَّادات الماء البارد على جَبْهته، وأحالته إلى طَبيب المدْرسة الذى أمَرَ على الفور بإدْخاله مُسْتَشفى الصدْر.

على سَريره بالمستشفى اعْترف **حسام** بحَماقته، وطَلَبَ من أمه ومن الأستاذ **فهمى** ومن المشرفة الصحيّة أن يُسامحوه، وأن يلحَقوا زينات وباقى أفْراد الشلة قبل أن يَضيعوا لأنهم فى الحَقيقة مُتَهَوِّرون تُعساء وليسوا كما يظنون بالخَطأ متهوِّرين سَعداء، فالتهوُّر لا يأتى بغَير التعاسَةِ والشرِّ المُسْتَطير.

ياسِرُ وتامِرُ

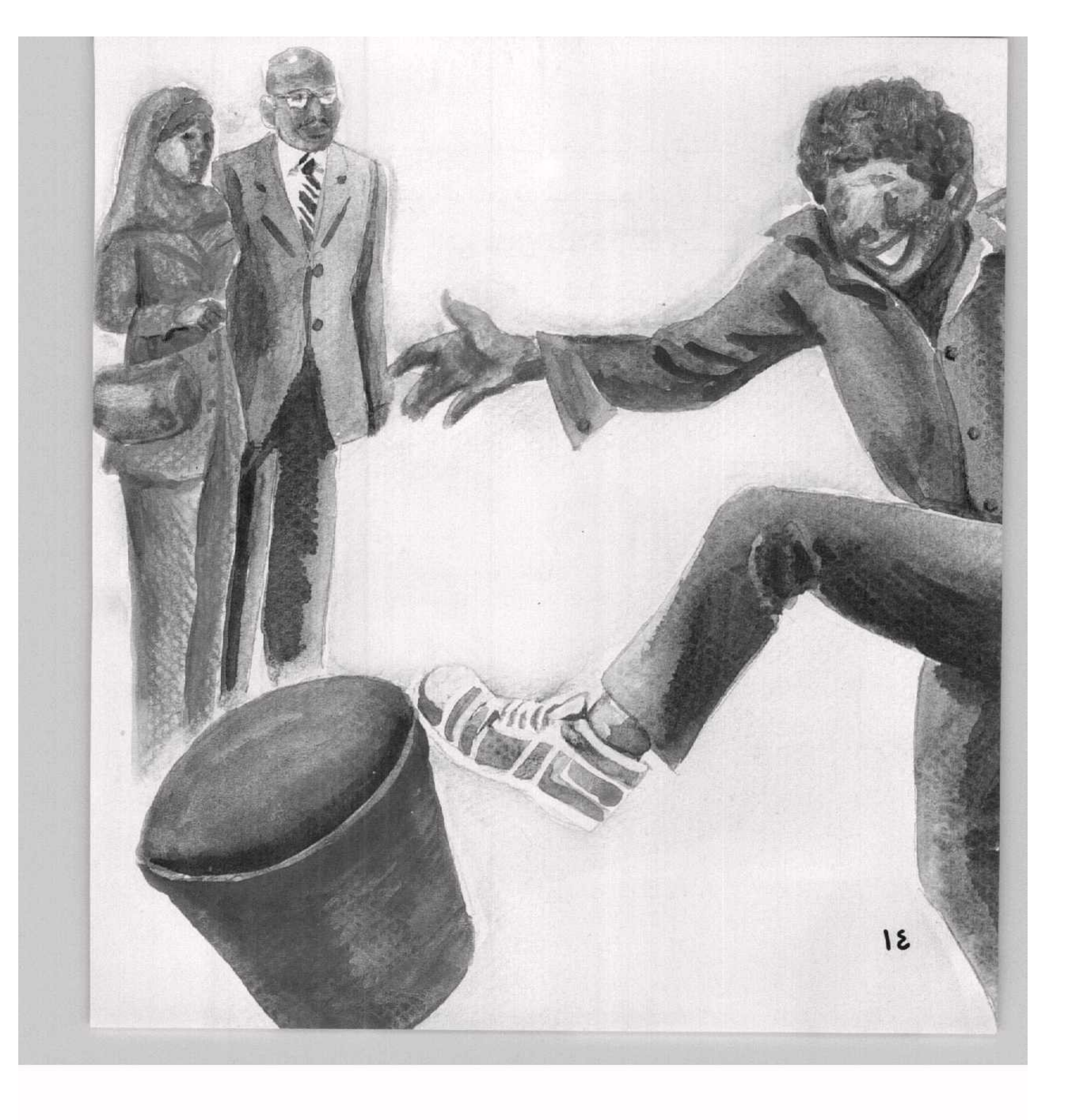
ياسر تلْميذ نظيفٌ. يحرصُ على نَظافة كُرّاساته ومَرْيلته، ولا يوسخُ التخْتة التى يجلسُ عليها بالحبر ولا يخْدشها بالبَرْجل. فى الفُسْحة يختارُ مكانًا ظليلاً فى فناء المدْرسة بعيدًا عن الغُبار الذى يُثيره التلاميذُ ليأكلَ الساندوتش اللذيذ الذى تَلُفُّهُ له أمّه فى كيس نَظيف. بعد أن يأكلَ يحْمد اللهَ ولا يُلقْى بالكيس إلى الأرْض، وإنما يَتَوَجَّهُ به ويُلْقيه فى سلّة المهْملات. يُضايقه جداً أنْ يَرى فَضَلات الطّعام وأغْلفة البسْكويت والشيكولاته وأكياسَ البلاسْتيك متناثرةً فى الفناء وفى بئر السلّم المؤدّى إلى الفصُول أو فى الطُرقات. إذا رأى تلْميذاً من فصْله أو من الفصُول الأخْرَى يرمى شَيئًا، نَهَرَهُ ونَبَّهَهُ إلى أهمية المُحافظة على نظَافة المدْرسة. لذلك فإن اسْمه مكتوبٌ دائماً فى لوحَة الشرف المعلَّقة فى مدْخل المَدْرسة.

تامر على العكْس من ياسر لا يهتمُّ بهنْدامه، ولا يحرصُ على نظَافة كُراساته، أظافرهُ دائماً مُتَّسخَةٌ وشعرهُ دائماً منكوش باسْتمرار. حاولتْ أمه كثيراً تَنْظيف مَرْيلته من الأحْبار التى تلوّثها فلم تُفْلح. وكلما اقتربَتْ بالمقصِّ من أظافره جرَى وهَرب. يرفضُ الساندوتشات النظيفَة التى تُعِدُّها



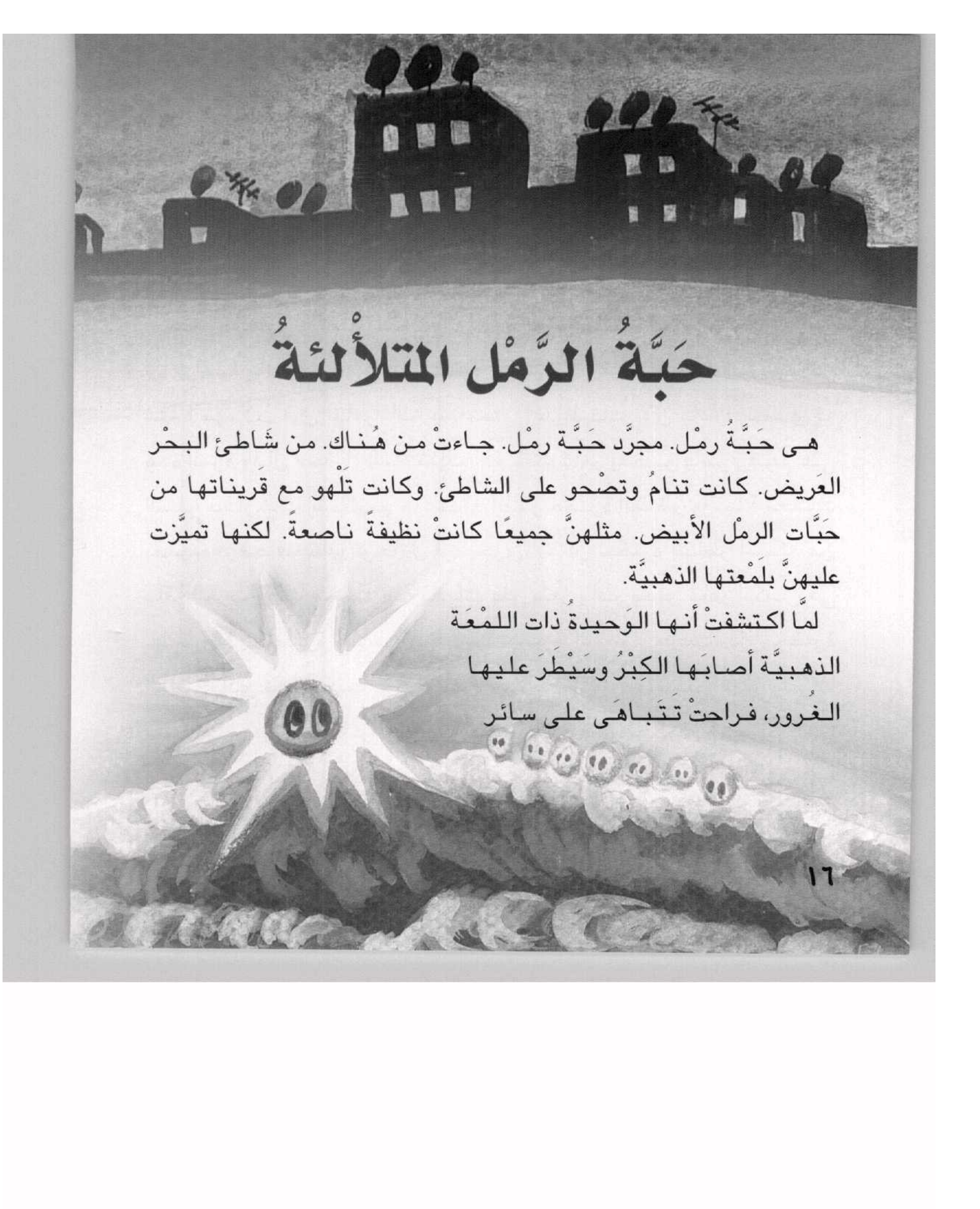
لـه صبـاحَ كل يـوم، ويشْـترى بمصْـروفـه سـاندوتشـات مـن البـاعَـة الجائلينَ، ولا يهتمُّ إذا كان الذبابُ قد حَطَّ عليها أم لا. أكثر من هذا فإنه يُكوِّرُ أوراقَ الجَرائد التى تكونُ ملْفوفةً بها ويصنعُ منها كُرَات يأخذُ فى رَكْلها والجَرْىَ بها فى فناءِ المدرسَة، فإذا ما تعبَ أو أصابهُ المللُ أطاحَ بها فى أىِّ مكان.

فى إحْدَى المرات، أصابتْ إحدَى هذه الكرات الورقيَّة وَجْهَ ياسر، فأخَذَها واتَّجَهَ بها إلى سَلَّة المُهْملات وقال لتامر: «النظافةُ من الإيمان ياتامر»،



فَسَخر منه تامر وصاح مُتَهَكِّماً: «ياسر أصْبح واعظاً»، فَرَدَّ عليه: «النظافةُ ليسَتْ وعْظاً.. النظافة سلوكٌ». عنْدئذ جَرَى تامر إلى سلَّة المهْملات وقَلَبها على الأرْض وَوَضَعَ يدَيه فى وَسطه وقال: «أرنى سلوكَكَ يا ناصح.. لمَّها إنْ اسْتطعتَ».

حَضْرة الناظر والأبلة نعمات مُدرِّسة الألعاب كانا يُراقبان ما يحدثُ دون أنْ يراهُما ياسر وتامر. عندما انتهَى ياسر من إعادَة الأشْياء المَرْمية إلى سَلَّة المهْملات قال لتامر الله يُسامحك. اغتاظَ تامرٌ لأن ياسراً تصدَّى له هذه المرَّة وقال مُحَذِّرًا: «سأشْتكيك». لم يهتمّ تامر بتَحْذير ياسر وهَجَمَ على السلَّة صارخاً: «اشْتكينى». عندئذ أظْهر حضرةُ الناظر والأبلة نعمات نَفْسيهما، فخافَ تامر وحاولَ أنْ يَجْرى، إلا أن حضرةَ الناظر أمسكه من ياقَة المرْيلة فيما مسحتْ أبلة نعمات على شَعْر ياسر بحُنُوٍّ. تامر انكمش فى جلده وقال لحضرة الناظر حَّرمت يا حضرة الناظر.. حرَّمت. لكنَّ حضرةَ الناظر نادَى فى لَحظتها على الأستاذة حكْمت المشْرفة الاجْتماعية، وأمرها باسْتدعاء ولىِّ أمْر تامر، وتَكْليفه بكَنْس الفناء يَوْمياً لمدة أسْبوعين. أما ياسر فَمَنَحَهُ دستةَ أقْلام ومسطرةً ومِمْحاةً وحقيبةً جلْدية مكافأةً له. كما طَلَبَ من أبلة حكْمت أنْ تَضعَ صورته إلى جوار اسْمه فى لَوْحَةِ الشرف.



حَبَّةُ الرَّمْل المتلألْئةُ

هـى حَبَّـةُ رمْل. مجرَّد حَبَّـة رمْل. جـاءتْ مـن هُـنـاك. من شَاطئ البحْر العَريض. كانت تنامُ وتصْحو على الشاطئ. وكانت تَلْهو مع قَريناتها من حَبَّات الرمْل الأبيض. مثلهنَّ جميعًا كانتْ نظيفةً ناصعةً. لكنها تميَّزت عليهنَّ بلَمْعتها الذهبيَّة.

لمَّا اكتشفتْ أنهـا الوَحيدةُ ذات اللمْعَة الذهبيَّة أصابَهـا الكِبْرُ وسَيْطَرَ عليهـا الغُرور، فـراحتْ تَتَبـاهَى على سائر

حَبَّات الرمْل وتقولُ: «أنا صاحبَةُ اللمْعَة الذهبيَّة، وأنتنَّ مُنْطَفئات.

وكانتْ تَرْنو إلى زُجاج النَّوافذ المتلألئ بأشعَّة الشمْس فى النهار وبالأنْوار الكَهْربائية فى المَسَاء وتقولُ: «لَسْتُنَّ مثْلى.. أنا ما خُلقْتُ إلاَّ لأعيشَ فى بيُوت المَدينة .. هُناك سَأتَلألأُ وأعيشُ مع الأشياء الجَميلة المُتلألْئَة مثْلى».

وتمرَّدتْ عليهنَّ وقالت: «لا أريدُ العيشَ معَكُنَّ.. أنْتُنَّ رملٌ خالصٌ، وأنا فىَّ شيءٌ من ذَهَب. عنْدئذٍ انصَرفتْ عنها حبَّات الرمْل وتحاشَيْنَها فشعرتْ بالفَراغ، وصَفَرَت الريحُ من حَوْلها فارْتعدتْ، لكنها كانتْ قد أدْمَنَت التطلُّع إلى نَوافذِ البيوتِ المُتَلألئةِ فى قَلْب المدينَة.

قالتْ حبَّة الرمْل، ذاتُ اللمْعة، فى نَفْسها : «سأسْتَغِلُّ هذا الفراغَ الذى أحاطَ بى وأحققُّ هَدَفى».

فى البدايَة أخذَتْ تتدحْرَجُ ، ثم راحَتْ تتقافَزُ ، ثم طارتْ.

بغَير قَصْدٍ ارْتَطَمَتْ بالكَراسى التى يَجْلس علَيها المُصْطافُونَ،

وبالشَّماسى والخيام الملوَّنة، وبالرايات التى تُرَفْرِف فوقَ أبْراج الغطَّاسين.
فى كلِّ مرَّة كانتْ تتمالكُ نَفْسَهَا وتُعاود الطيرانَ مُسْتَعينةً بنَسائم البحْر القويَةِ إلاَّ هَذه المرة.. فعنْدما اصْطدمتْ برأس الوَلَد الخارج لِتَوِّهِ من البحْر انغَرزتْ فى تَلافِيفِ شَعره المبْلول، ولم تَتَمَكَّن من الإفْلات.. للوَهْلة الأولَى اكتشفتْ أنها محْشورة وسطَ حبَّات من رمال غَريبة عليَها.. فكلهنَّ حبَّات قاتمَة، لزجَة، ومُطْفأة.. أكثر من هذا شَرِسَة وعَنيفة. وجَّهتْ إليهنَّ نفس نظْرة



التَّعالى التى كانتْ توجِّهها
إلى قَريناتها، فهَجَمْنَ عليَها
وكِدْنَ يفْتِكْنَ بها، لولا أنَّ الولدَ
كانَ قد وَقَفَ تحتَ دشّ المياه
الحلْوة، فأزالَ من شعْره كلَّ
الرمال الغَريبة وألقَى بها إلى الأرْض، فيما رأتْ هى أنَّه من الأوْفَق أنْ تَتَشَبَّثَ بخُصلات شعْره حتى لا يُسْقطها ماءُ الدشّ إليهنَّ فيُدَمِّرْنَها.

وجاءتْها فكرةٌ..

هذا الولدُ سَيَعود، بالتَّأْكِيْدِ، إلى بَيته داخلَ المَدينة، فَلماذا لا تتمسَّك بمخْبئها فى شعْره حتى يصلَ بها إلى حَيث الأشْياء المُتَلأْلِئَة مثلُها فى المَدينة؟..

صَبرتْ كثيرًا وحرصَتْ علَى الابْتعاد عن فَرْوَةِ رأسه حتى لا يَهْرشها ويلْقى بها إلى حيثُ لن تجدَ إلاَّ الشماتَة والاسْتهزاء.

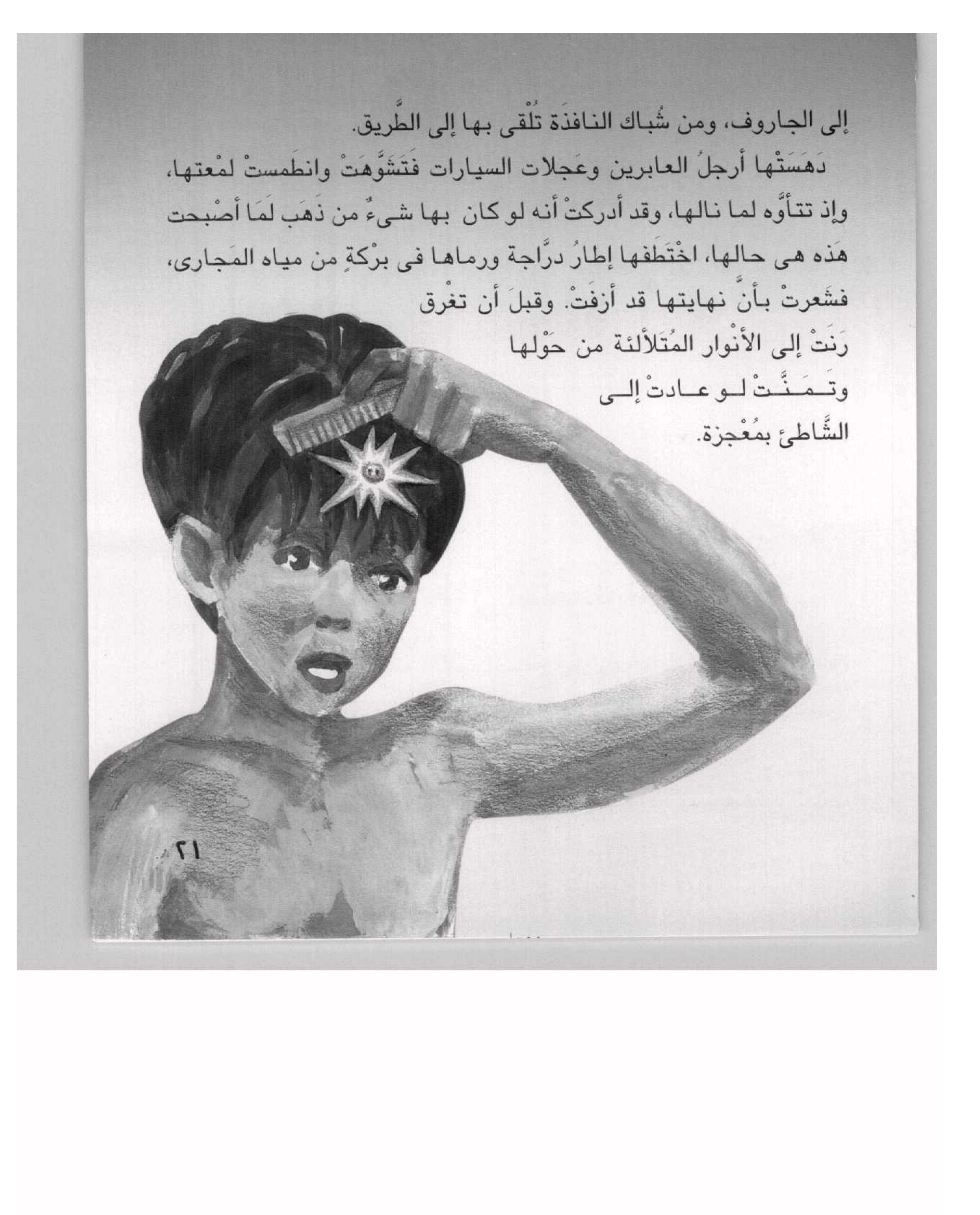
عنْد الغُروب.. ارْتَدَى الولدُ ملابسَه وحملَ شمسيَّته وكرسيّه وعادَ، وهى معه، إلى المَدينة.

بطُول الطريق لم تكفّ حبَّةُ الرمْل، التى ظَنَّتْ أن بها شَيئًا من ذَهَب، عن

التطلُّع إلى النوافذ المتَلألئة بأشعَّة الشمْس الغاربة، وإلى أعْمدة النور والفاترينات التى بَدأتْ تُضاء بالكهْرباء. بَشَّرتْ نفْسها بنَيْل المُراد: «إنْ هىَ إلاَّ لحَظات وأعيشُ مع الأشْياء المتَلألئة التى أحْببتها، إنْ هى إلاَّ لحَظات وأثبتُ وجُودى فى الأماكن التى تَليق بى».

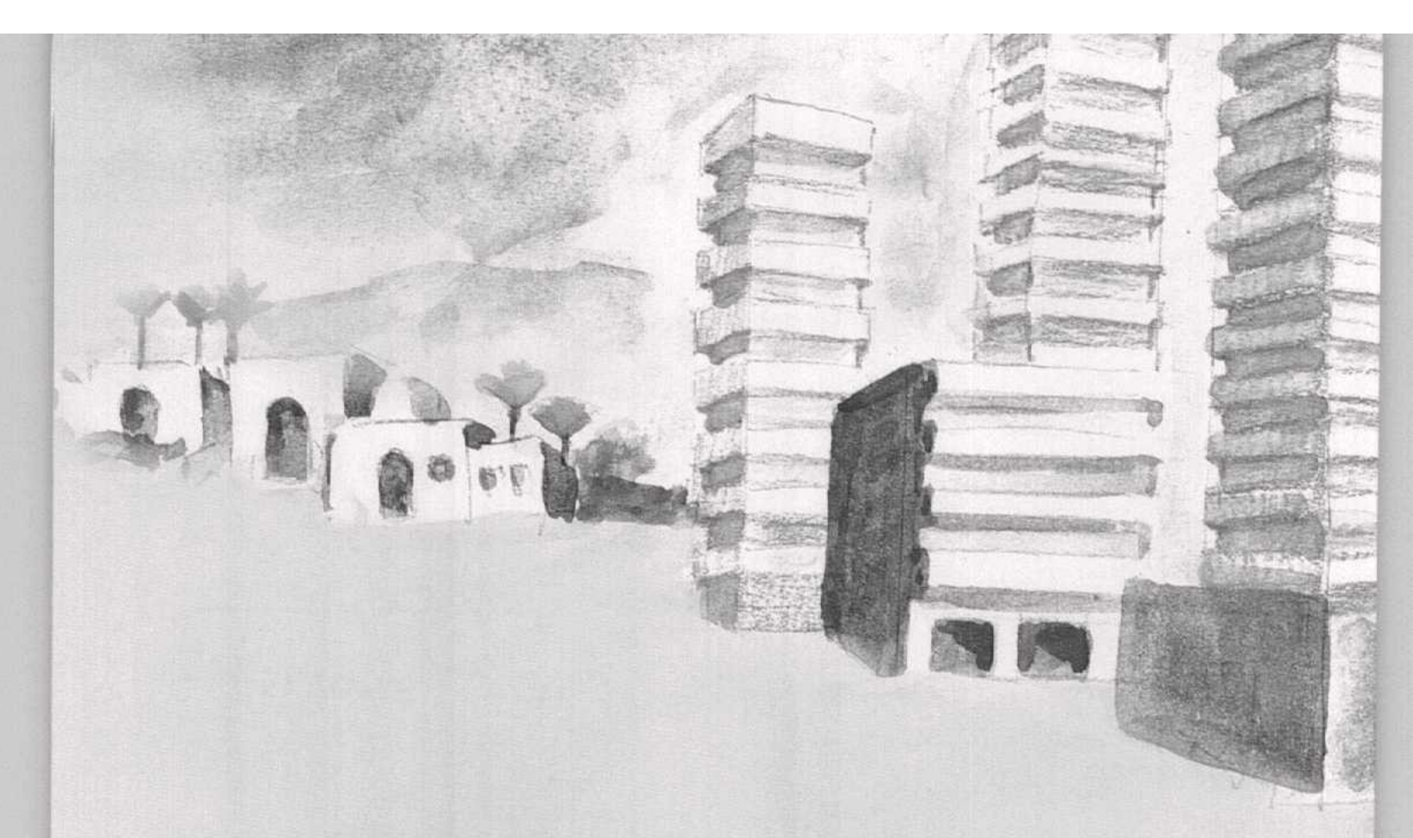
عندَ باب بيت الولَد اسْتشعرت الخطَر لمَّا رأته ينفضُ الرمالَ التى التصَقت بنَعْلَيْه وبأرْجل الكرسى وطَرف عَمود الشمْسية، فتَشَبَّثَتْ أكثر بمخْبئها فى شَعره، وتنفَّسَت الصُّعَداءَ لمّا دخلَ بها إلى غُرفة نَومه وَوَقَفَ أمام المرْآة المُتَلألئة بالفضَّة. فَرحتْ وقالتْ فى نفْسها: «هأنذى بدأتُ أحققِّ أحْلامى.. ليتَ حبَّات رملْ الشاطئ اللائى تَجَنَّبْنَنى يأتينَ الآن لأغيظهنَّ».

أطلَّتْ من بين خصْلتين فَرأتْ لألاءَها ينْعَكس على المرْآة ويرتدُّ إليها، فأسْكَرها السرورُ، وأبْهَجها أن تَرى نفسها جميلةً وبراقةً ولامعةً. أنسَتْها الفرحةُ حذْرها فأخذَتْ تضْحك وتتشقْلب وترقص، ثم انزلقتْ فوقَ شَعْرَة وأمسكَتْ بطَرفها، وراحَتْ تتأرْجَحُ فوقَ جَبين الولد ذاتَ اليَمين وذاتَ اليَسار، ولَمْعَتها التى تُومض فوقَ سطْح المرآة تأتيها فتَزْداد مَرحاً ونزَقا. إلاَّ أن الولدَ رآها فَمَدَّ يده بالمشْط وأسْقطها فوق السجَّادة لينفجرَ قلبُها وينْشَطر ذرَّاتٍ وهى ترى أمَّه تأتى بمكْنستها فتلمُّها مع قاذُورات الغرْفة ثم تَنْقُلها



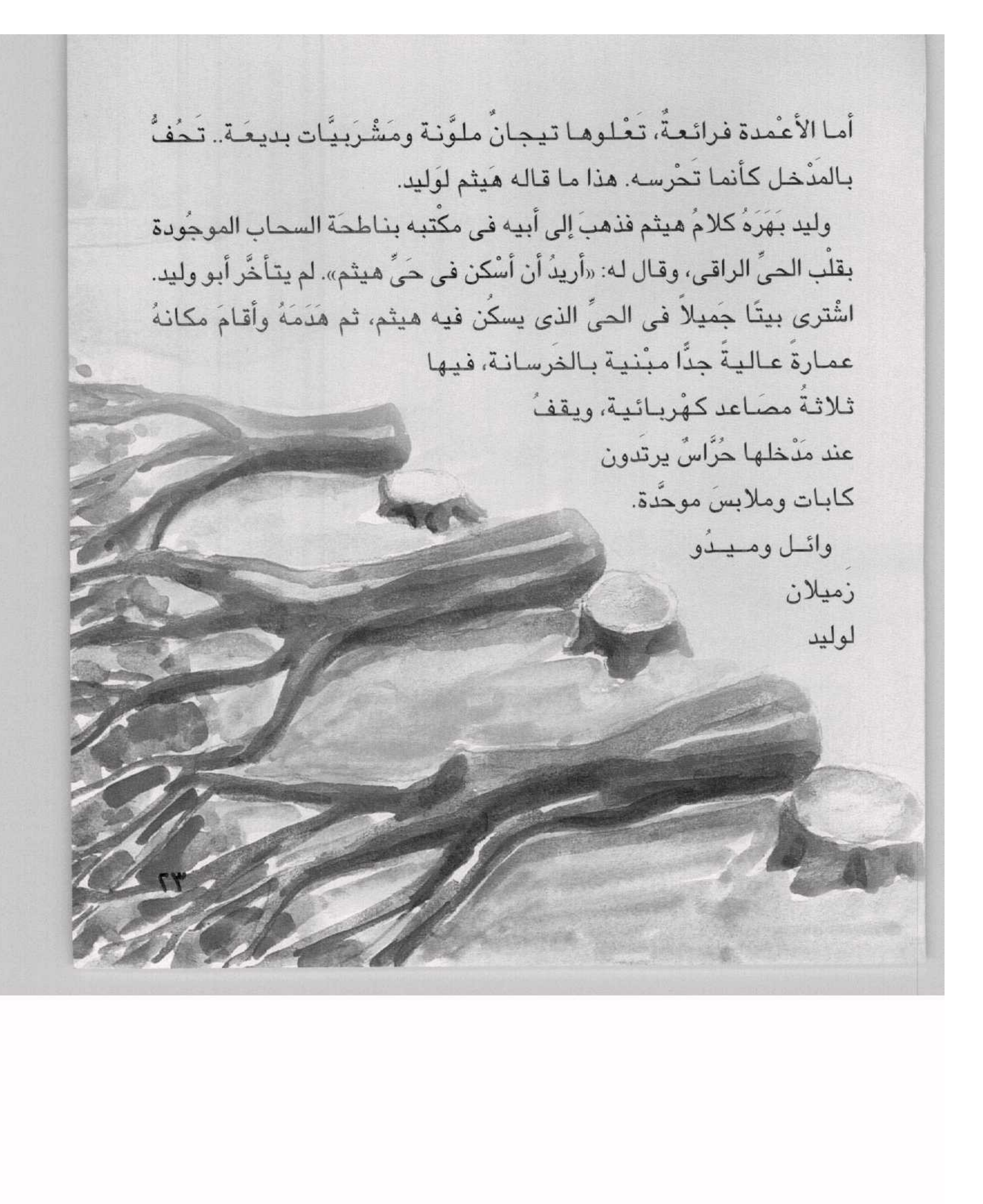
إلى الجاروف، ومن شُباك النافذة تلْقى بها إلى الطَّريق.

دَهَسَتْها أرجلُ العابرين وعَجلات السيارات فَتَشَوَّهَتْ وانطمستْ لمْعتها، وإذ تتأوَّه لما نالها، وقد أدركتْ أنه لو كان بها شىءٌ من ذَهَب لَمَا أصْبحت هَذه هى حالها، اخْتَطَفها إطارُ درَّاجة ورماها فى برْكةٍ من مياه المَجارى، فشَعرتْ بأنَّ نهايتها قد أزفَتْ. وقبلَ أن تغرق رَنَتْ إلى الأنْوار المُتلألئة من حَوْلها وتَمَنَّتْ لو عادتْ إلى الشَّاطئ بمُعْجزة.



أفْكارٌ نَظِيفةٌ

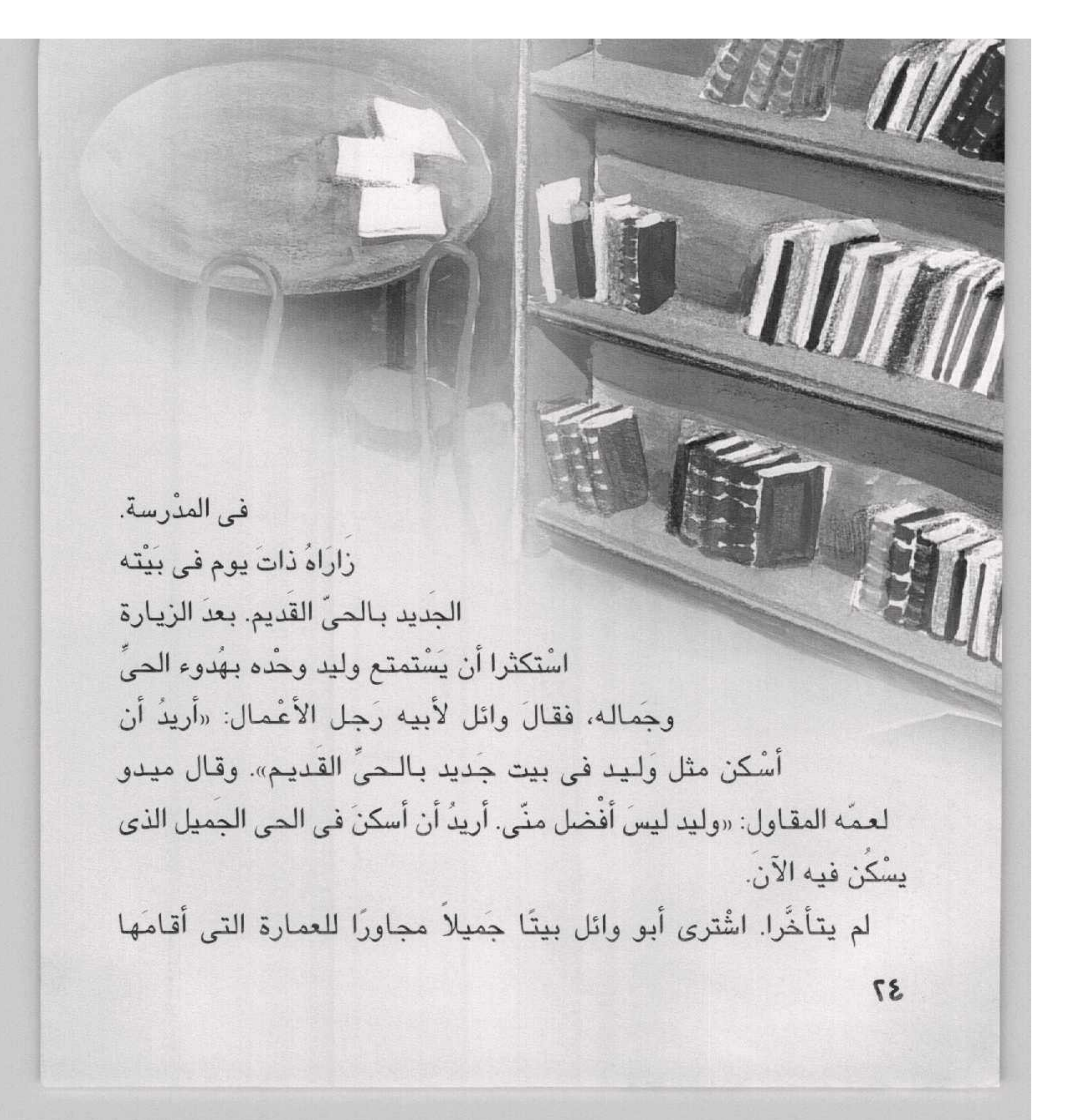
البيوت فى حَيِّنا قديمةٌ، لكنها أصيلةٌ وطرازُها فَريد. مَبْنية من طابق واحد أو طابقَيْن، لكنها واسعةٌ ومريحةٌ. بها حدائقُ نربِّى فيها الطيور والأرانبَ ونأكلُ من أشجارها فواكهَ كلّ موسم. فى بُيوتنا كلّ شىء جَميل. أجملُ ما فيها حيطانها المُزَخْرَفة بنقُوش الغزلان والأسُود وعَناقيد العنَب.



أما الأعْمدة فرائعةٌ، تَعْلوها تيجانٌ ملوَّنة ومَشْرَبيَّات بديعَة.. تَحُفُّ بالمَدْخل كأنما تَحْرسه. هذا ما قاله هَيثم لوَليد.

وليد بَهَرَهُ كلامُ هيثم فذهبَ إلى أبيه فى مكْتبه بناطحَة السحاب الموجُودة بقلْب الحىِّ الراقى، وقال له: «أريدُ أن أسْكن فى حَىِّ هيثم». لم يتأخَّر أبو وليد. اشْترى بيتًا جَميلاً فى الحىِّ الذى يسكُن فيه هيثم، ثم هَدَمَهُ وأقامَ مكانهُ عمارةً عاليةً جدًّا مبْنية بالخَرسانة، فيها ثلاثةُ مصَاعد كهْربائية، ويقفُ عند مَدْخلها حُرَّاسٌ يرتَدون كابات وملابسَ موحَّدة.

وائل وميدُو زَميلان لوليد



فى المدْرسة.

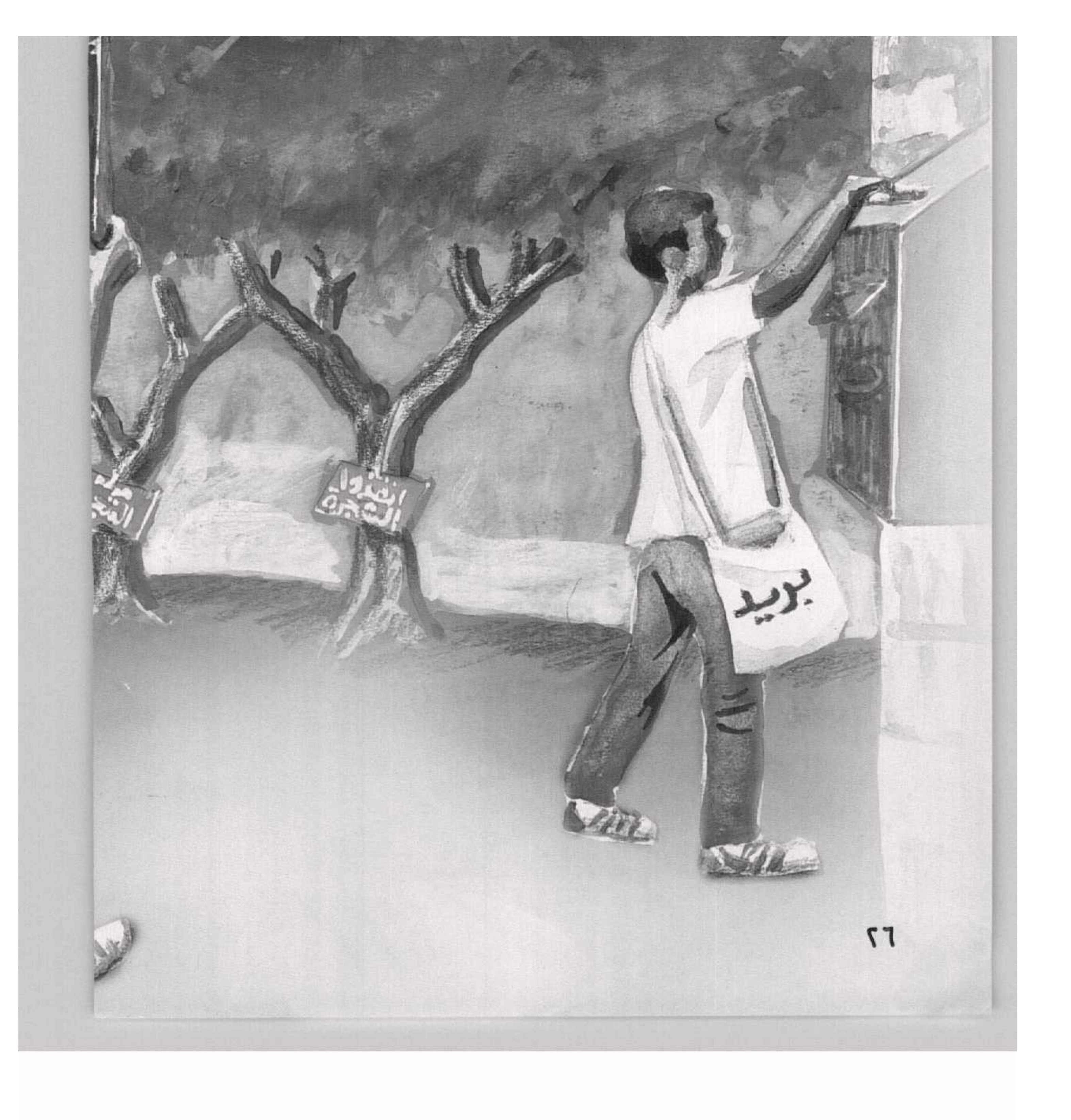
زَاراهُ ذاتَ يوم فى بَيْته الجَديد بالحىِّ القَديم. بعدَ الزيارة اسْتكثرا أن يَسْتمتع وليد وحْده بهُدوء الحىِّ وجَماله، فقالَ وائل لأبيه رَجل الأعْمال: «أريدُ أن أسْكن مثل وَليد فى بيت جَديد بالحىِّ القَديم». وقال ميدو لعمّه المقاول: «وليد ليسَ أفْضل منّى. أريدُ أن أسكنَ فى الحى الجَميل الذى يسْكُن فيه الآنَ.

لم يتأخَّرا. اشْترى أبو وائل بيتًا جَميلاً مجاورًا للعمارة التى أقامَها

أبووليد، واشْترى عم ميدو بَيتاً جميلاً آخرَ يجاورُ البيتَ الذى اشْتراه أبو وائل. وكما فعل أبو وليد هَدَما البيتين وأقاما عمارتَيْن عاليتَيْن جدًّا جدًّا، فيهما مَصاعد كَهْربائية كَثيرة ويقفُ عند مَدْخَلَيْهما حراسٌ أشداء ورجالٌ ينظِّمون وقوفَ السيارات.

تضايقَ هيثم

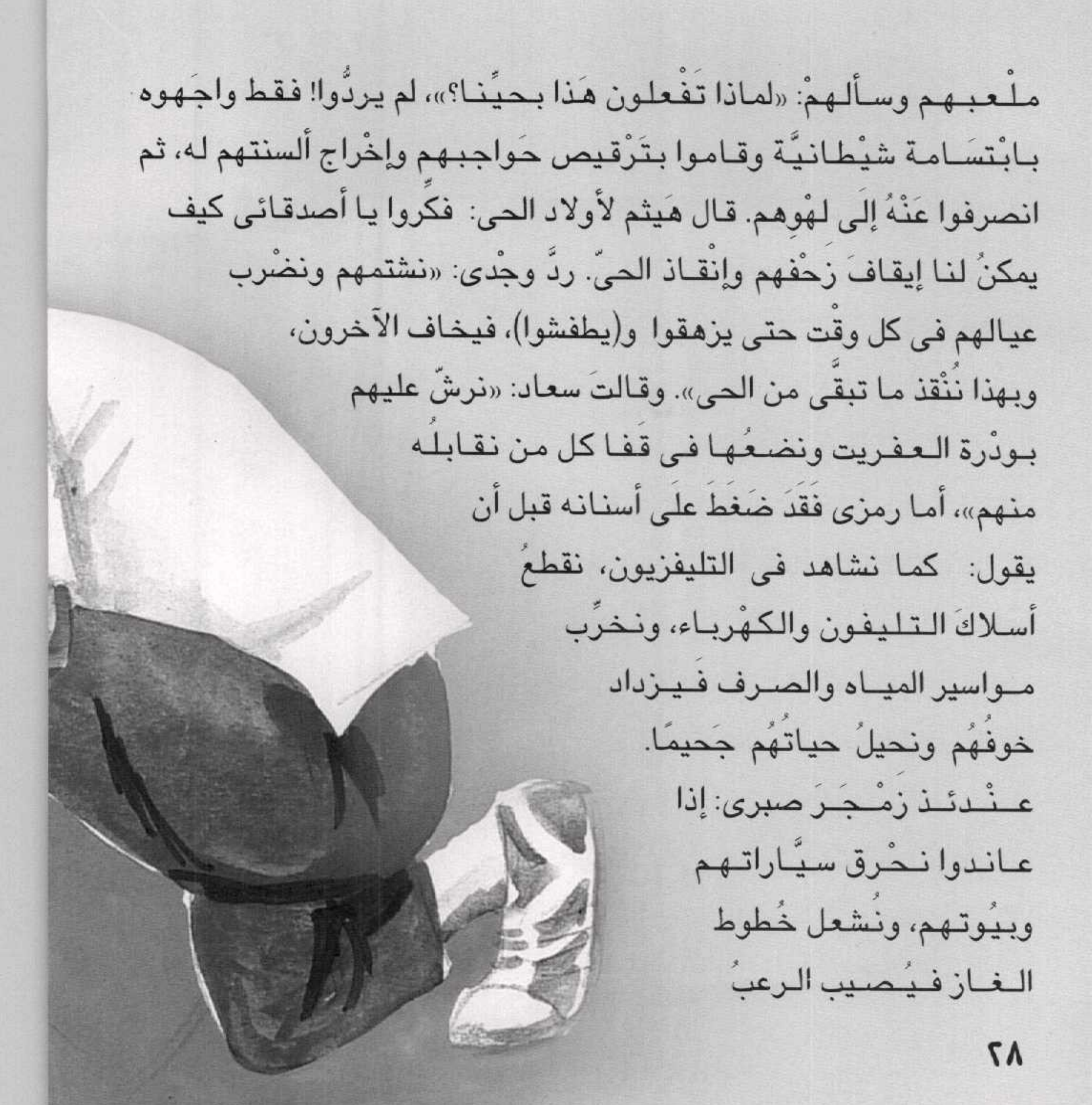



انقذوا
الشجرة
بريد

وأصحابُهُ لأنهم لم يَعُودوا أحْراراً في شَوارع حَيِّهِمْ كما كانوا، ولأنَّ البيوت الجَميلة استمرتْ في الاخْتفاء، والعمارات العاليَة اسْتمرت في الارْتفاع، والحراس لم يكلُّوا من مُطاردتهم في أوْقات اللعب، وبيُوتهم حاصَرَتْها مياهُ الطفْح، و(المَواتير) القويَّة سَحَبَتْ المياه الحلْوة من المَواسير. ومن أجْل تَوْصيل الكهْرباء والغاز والتليفونات إلى هَذه العمارات قَطعُوا أشْجارًا كثيرةً وحَفروا الشوارعَ ودمَّروا الأرْصفة، أكثر منْ هذا التصقَتْ أدخنةُ سياراتهم بالنقُوش التى كانَتْ تَزْهُو بها بيوتُهم فطَمستها، وتهشَّمت أعمدةٌ كثيرةٌ بسبب اصْطدام مقدِّمات ومؤخِّرات هذه السيارات بها.

ذَهَبَ هيثم إلى وليد ووائل وميدو في

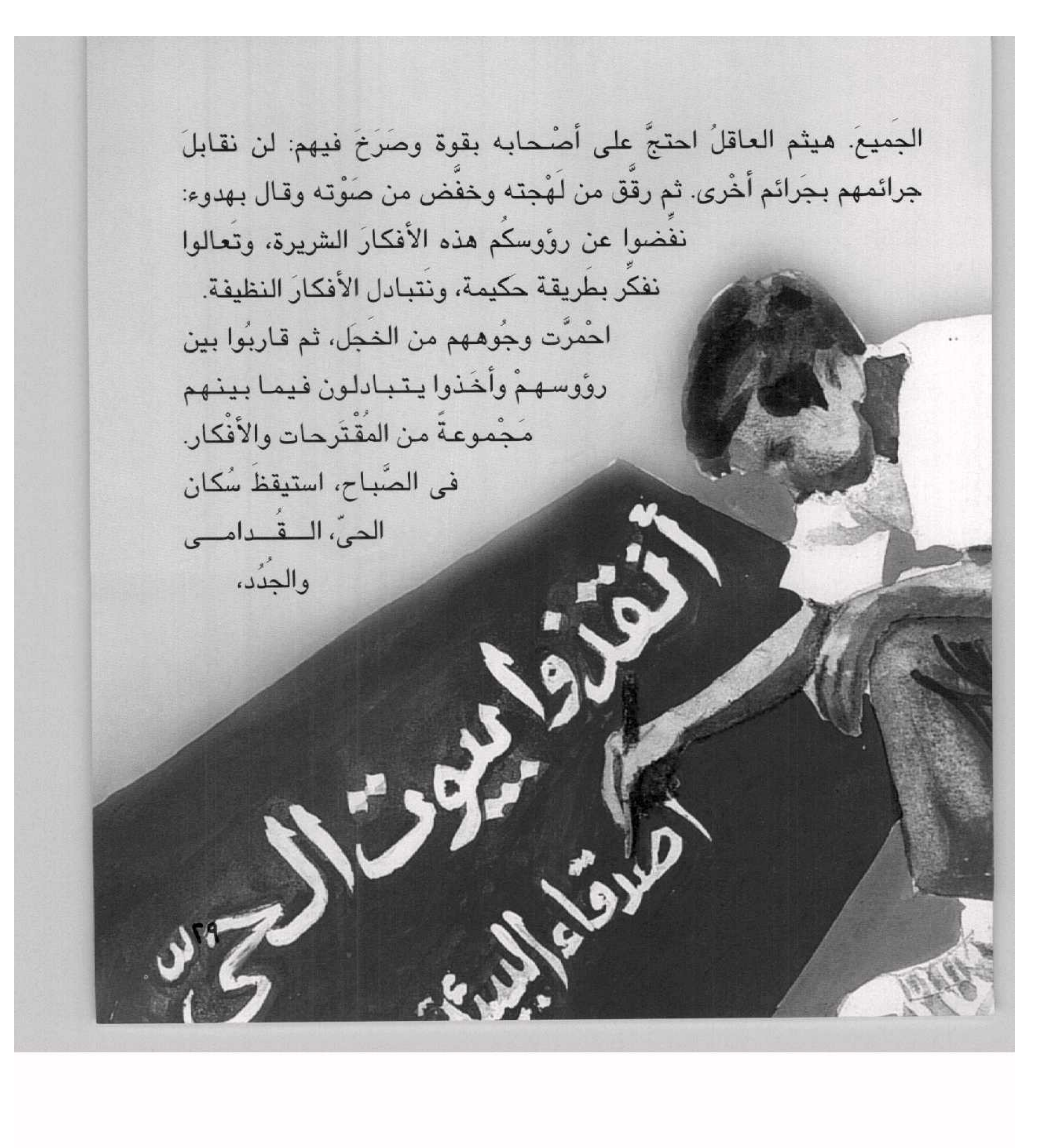
ملْعبهم وسألهمْ: «لماذا تَفْعلون هَذا بحيِّنا؟»، لم يردُّوا! فقط واجَهوه بابْتسَامة شيْطانيَّة وقاموا بتَرْقيص حَواجبهم وإخْراج ألسنتهم له، ثم انصرفوا عَنْهُ إلَى لهْوِهم. قال هَيثم لأولاد الحى: فكِّروا يا أصدقائى كيف يمكنُ لنا إيقافَ زَحْفهم وإنْقاذ الحىّ. ردَّ وجْدى: «نشتمهم ونضْرب عيالهم فى كل وقْت حتى يزهقوا و(يطفشوا)، فيخاف الآخرون، وبهذا نُنْقذ ما تبقَّى من الحى». وقالتَ سعاد: «نرشّ عليهم بودْرة العفريت ونضعُها فى قَفا كل من نقابلُه منهم»، أما رمزى فَقَدَ ضَغَطَ علَى أسنانه قبل أن يقول: كما نشاهد فى التليفزيون، نقطعُ أسلاكَ التليفون والكهْرباء، ونخرِّب مواسير المياه والصرف فَيزداد خوفُهُم ونحيلُ حياتُهُم جَحيمًا.
عنْدئذ زَمْجَرَ صبرى: إذا عاندوا نحْرق سيَّاراتهم وبيُوتهم، ونُشعل خُطوط الغاز فيُصيب الرعبُ



الجَميعَ. هيثم العاقلُ احتجَّ على أصْحابه بقوة وصَرَخَ فيهم: لن نقابلَ جرائمهم بجَرائم أخْرى. ثم رقّق من لَهْجته وخفَّض من صَوْته وقال بهدوء: نفِّضوا عن رؤوسكُم هذه الأفكارَ الشريرة، وتَعالوا نفكِّر بطَريقة حكيمة، ونَتبادل الأفكارَ النظيفة.

احْمرَّت وجُوههم من الخَجَل، ثم قاربُوا بين رؤوسهمْ وأخَذوا يتبادلون فيما بينهم مَجْموعةً من المُقْتَرحات والأفْكار.

فى الصَّباح، استيقظَ سُكان الحيّ، القُدامى والجُدُد،



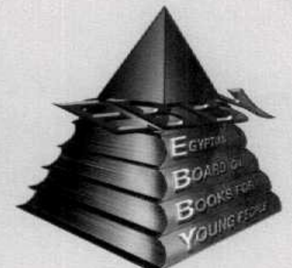
ليشاهدُوا مُثَبَّتاً بأعْمدة الإنارة عَدداً غيرَ قَليل من لوحات مكْتوبة بخُطُوط سَليمة تَحْملُ وجْهَةَ نَظَرَ هَيثم وأصْحابه المُدافعَة عن جَمال الحىّ وعَراقته. واندهَشَ رجلُ البَريد وهو يُفَرِّغ الصناديق إلى مِخْلاته، فللمرَّة الأولَى تَكْتَظُّ هَكذا ويصْعب علَيه حملها، فيما وَقَفَ هَيثم وأصحابُهُ يَرْقبونه وهو يجرُّ المخْلاةَ ويرفَعها بصُعُوبة إلى عَرَبة المصْلَحة.

بالقَليل الذى مَعَهم كانُوا قد اشْتروا الوَرَق والأقلامَ والمظَاريف وطَوابعَ البريد، وبسُرعة نفَّذوا اللوحات وكَتبوا خطابات للمسْئولين عن الحىّ والمَدينة والمُحَافظة. فى المخلاةِ أيْضاً مظَاريف تَتَضَمَّنُ بيانات كَتبوها بإحْكام، وبأيديهم وَضَعُوها فى صَناديق البريد لتذْهَبَ إلى رُؤساء تحْرير الصُحُف ومَحَطَّات التليفزيون. وبها، معَ كلّ هذا، مظْروفٌ ثقيلٌ به خطابٌ مُطَوَّل أرْسلوه إلى وَزير البيئة يناشدُونه سُرْعَةَ التدخل. ولما اخْتفت عربةُ البريد التى شَيَّعُوها بأبْصارهم وقلُوبهم، انصرفَ كل منهم إلى ولىِّ أمره ليقْنعه بخطُورة البَيْعِ لهؤلاء الوافدين الذين لا يُقَدِّرون معانىَ الجَمال والأصَالة.

ولا يزالُ هَيثم وأصْحابه يعْملون من أجْلِ إنقاذِ ما تبقَّى من بُيُوتُ الحى، وما زالوا يَتبَادلونَ الأفْكار النَّظيفة.


دافعوا عن الأشجار





السلسلة الفائزة بجائزة
سوزان مبارك للنشر ٢٠٠٥
رقم الإيداع : ٢٠٠٧/١٤٩٠١
الترقيم الدولى : 977-437-404-5

إلى حفيدىَّ ..
محمد وسيف ..
أحبَا البيئةَ تُحْبِبْكما ..
وتَحْميكُما.

جَدُّكما

شركة الأمل للطباعة والنشر